ELEGIES FOR THE PROPHET'S FAMILY BY
CONTEMPORARY LEBANESE CHRISTIAN POETS

Khalid Ahmad SINDAWI¹

Abstract:

The study discusses elegiac poetry on the Prophet's family composed by Lebanese poets belonging to the Christian community there. We chose a selection of writings by four contemporary Christian poets: Joseph al-Hāshim, Paul Salāma, Raymond Qasīs and Joseph al-Ḥarb. The study opens with a discussion of the meaning of elegies as a human, social and individual poetic object, that has been cultivated by poets since pre-Islamic times. Next, the study discusses the reason why the Prophet's family has been the subject of so many elegies, namely the important position this family occupied among poets. Subsequently we discuss why Christian poets in Lebanon have composed numerous elegies for members of the Prophet's family, especially 'Alī b. Abī Ṭālib and his son al-Ḥusayn b. 'Alī, namely the fact that elegies constitute a unique human phenomenon that is in keeping with divine teachings, especially concerning the Prophet's family. The study uses both descriptive and analytic methods.

Key words: The Prophet's Family, Elegy, Al-Ḥusayn B. 'alī, 'alī B. Abī Ṭālib, Contemporary Arabic Poetry, Christian Poets, Lebanon, Christian Poetry, Shī'ī Poetry.

Istanbul / Türkiye
p. 670-685

Received: 27/11/2021
Accepted: 10/12/2021
Published: 01/01/2022

This article has been scanned I
iThenticat No **plagiarism**
detected

<http://dx.doi.org/10.47832/2717-8293.15.46>

¹ Prof. Dr. , Al-Qassemi Academy, Palestine, sindawe@arabcol.ac.il

رثاء أهل البيت لدى شعراء النصارى اللبنانيين المعاصرين

خالد أحمد سنداوي 2

الملخص:

يهدف هذا البحث إلى الوقوف عند رثاء أهل البيت لدى شعراء لبنانيين ينتمون للطائفة المسيحية، وقد اختار البحث عينة من مراثي آل البيت من شعر أربعة شعراء مسيحيين معاصرين هم: جوزيف الهاشم، بولس سلامة، رمون قسيس، وجوزيف الحرب. استُهلّت الدراسة بتوضيح معنى الرثاء معجمياً واصطلاحاً، وبيّنت أنّ الرثاء هو غرض شعري إنساني واجتماعي وذاتي، وقد اعتنى به الشعراء منذ الجاهلية. بعدها بيّن البحث لماذا حظي أهل البيت بكم هائل من المراثي، وذلك لأنهم حظوا مكانة مهمة لدى الشعراء، ثم بيّن سبب نظم شعراء لبنان النصارى مراثٍ عديدة في آل البيت خاصة في علي بن أبي طالب وابنه الحسين بن علي، وذلك لأنّ الرثاء ظاهرة إنسانية فريدة تلتقي مع التعاليم السامية، وخاصة إذا كان في آل البيت. وقد اعتمدت الدراسة المنهج الوصفي والتحليلي.

الكلمات المفتاحية: أهل البيت، الرثاء، الحسن بن علي، علي بن أبي طالب، الشعر العربي المعاصر، شعراء النصارى، لبنان، الشعر المسيحي، الشعر الشيعي.

المقدمة:

إنّ الرثاء من أبرز وأقدم أغراض الشعرية ومن الموضوعات البارزة في الشعر (ضيف، 1988، 5)، ويعتبر أصدق أنواع الشعر (عبود، 1960، 81) الذي اعتنى به الشعراء ونظموا فيه أشعاراً لأنّ الرثاء وليد انفعال صادق ومعاناة مؤلمة. وأهمية هذا الفنّ الغنائي تكمن في تصويره للوجدان الفردي وما يتناوبه من أحاسيس أمام فاجعة الموت التي تعدّ من أقدم ما يواجهها الوجود الإنساني. والشعراء منذ القديم بذلوا اهتماماً خاصاً لهذا الفنّ وقد نظموا الكثير من القصائد في رثاء الأقارب والأبعد، كما نظموا المراثي في رثاء عظماء الدّين وكبار العلماء. والرثاء بلا منازع أقدم أغراض الشعر العربي ويجمع كثير من المؤرخين إنّ أول قصيدة قيلت في الشعر العربي كانت في الرثاء (الجُمحي، 1974، 22).

واستمر الرثاء مع توالي العصور إلى عصرنا الزّاهن فنرى في دواوين الشعراء في العصور المختلفة مراثي كثيرة، وأنها نظمت في فقدان العزيز، أو سكب الدموع أمام سلطان لينال الشاعر حظوته، ولمراثي أهل البيت مكانة مرموقة في الأدب العربي في العصور المختلفة فلم يكن هناك شاعر سمع أو شاهد مأساة آل البيت إلّا وقد نظم في رثائهم قصيدة، وهذا لا يختصّ بشعراء الشيعة فحسب، بل تجاوزته إلى آداب غيرهم من أصحاب الأديان والمذاهب الأخرى، فقد نظموا قصائد صادقة في رثاء أهل البيت.

وقد تناول هؤلاء الشعراء في نظم قصائدهم في رثاء أهل البيت مواضيع مختلفة وقاموا بالدّفاع عن آل البيت ووصف مصائبهم والحنن التي واجهها أهل البيت أثناء حياتهم.

لم يتبع الشعراء في نظم مراثي أهل البيت طريقاً واحداً ولكن من خلال دراسة هذه المراثي يمكن الإشارة إلى عدّة ميزات لهذه المراثي، منها: أنّ المراثي تبدأ في معظمها بذرف الدّمع والتّواحد والتّذلل، ومن ثمّ يذكر الشاعر مناقب أهل البيت وفضائلهم،

٢.أ.د. أكاديمية القاسمي، والكلية العربية، فلسطين، sindawe@017.net.il

وذكر بعض أحاديث من الرسول التي تدلّ على الخلافة لعليّ من بعد وفاته، ووصيّته في حبّ آل البيت وذمّ أعداء آل البيت، وذكر مصائب والحن التي حلّت بهم. فجاءت أكثر مراثي آل البيت تدلّ على التّذب وتعتبر من الرّثاء العاطفيّ.

وقد تأثّر الشعراء أشدّ التأثير بواقعة الطّف وأحداثها وما أصاب الحسين يوم عاشوراء عام 680م، فبنى المراثي التي نُظمت في هذا المجال أكثر من غيرها، وهي تتميز بجرارتها وإثارتها للعواطف. والأمر الذي يلفت النظر أنّ المراثي التي نظمها الشعراء في العصور المختلفة في رثاء الأقارب، وعظماء الدّين والحكام تختصّ بذلك العصر، ولكن رثاء أهل البيت لا يختصّ بعصر دون العصور، بل قد اهتمّ الشعراء في جميع العصور الأدبيّة برثاء آل البيت وقد صوّر الشعراء عظمة آل البيت ومكانتهم في القلوب.

وما زال النظم في رثاء أهل البيت متدفّقاً حتّى عصرنا الراهن، فهناك شعراء قد نظموا قصائد في رثاء أهل البيت منهم شعراء لبنانيّون مسيحيّون، فاجذبوا إلى أهل البيت وطريقتهم ونظموا القصائد في رثائهم.

إنّ الهدف المتوخّى من هذا المقال هو دراسة مراثي أهل البيت التي نظمها شعراء مسيحيّون من لبنان ونسعى في هذا المجال أن نقدّم ميزات المراثي التي اعتنى بها الشّاعر المعاصر في نظمها، والمواضيع التي اهتمّ بها الشّاعر في رثاء أهل البيت منها: إظهار الحزن والألم من مقتل أهل البيت، ذكر فضائل أهل البيت وعظمتهم، وصف المصائب والحنّ التي واجهها أهل البيت ودور أهل البيت عليهم في تعزيز دين الإسلام وإحيائه وسنصل إلى هذه الأهداف من خلال الدّراسة التحليليّة والوصفيّة لقصائد هؤلاء الشعراء.

سؤال البحث:

يسعى البحث للإجابة على هذه الأسئلة:

- ما هي المواضيع التي اعتنى بها الشعراء المسيحيّون في رثائهم لأهل البيت؟
- ما هي الأسباب التي دعت شعراء لبنان المسيحيّون المعاصرين إلى رثاء أهل البيت؟
- وما هي مميزات مراثي شعراء لبنان المسيحيّون المعاصرين في آل البيت؟

منهج البحث:

نظراً لطبيعة الدّراسة فقد اعتمد هذا البحث على المنهج الوصفيّ والمنهج التحليليّ، أي وصف وتحليل مراثي آل البيت التي اختيرت كعيّنات للبحث، ومعالجتها وتحليلها ومقارنتها ببعضها لاستخلاص دلالاتها والوصول إلى نتائج وتعميمات عن مراثي آل البيت لدى شعراء لبنان المسيحيّين.

الرّثاء في اللّغة والمصطلح

أ.الرّثاء في اللّغة

عندما نعود إلى مصادر التّراث في اللّغة العربيّة وهي غنيّة جدّاً، نجد ثلاثة أصول لكلمة الرّثاء، حدّدها علماء اللّغة في معاجمهم وهذه الأصول هي:

- 1.الأصل الأوّل: رثاً مهموزة الألف، وتدلّ على معنى الخلط والاختلاط. تقول: أرثاً اللّبن: خثّر وفي المثل الرّثيئة تُفثأ الغصّب . والرّثيئة: اللّبن الحامض يحتلب عليه فيخثر، ومنها ارتثاً عليهم أمرهم إذا اختلط. (الزّحشري، 1979، 154).

2. **أما الأصل الثاني فهو:** رثى بالألف اللينة ومضارعه يرثي و المراثية بالفتح وجع في الركبتين والمفاصل (الجهري، 1990، 14: 309) والأصل يدل على رقة وإشفاق، يقال رثيت لفلان: رقت، ومنه قولهم: رثى الميت بشعر، ورثت المرأة بعلمها ترثيه رثاية (ابن منظور، 1997، 14: 309 مادة رثا).

3. **أما الأصل الثالث فهو:** رث بالتضعيف، وهو أصل واحد يدل على أخلاق وسقوط. يقال ثوب رث، ورجل رث الهيئة. (ابن فارس، 1979، 2: 384). والمراث: الصريع الذي يُنخن في الحرب ويُحمل حياً ثم يموت (ابن منظور، 1997، 2: 151، مادة رثت).

ب. الرثاء اصطلاحاً

كلمة الرثاء اصطلاحاً تعني: بكاء الميت وذكر مناقبه شعراً أو نثراً. و المراثية و الرثاء: بكاء الميت وتعداد محاسنه، فيقال: رثى فلان فلاناً يرثيه رثياً إذا بكاه بعد موته، ورثوت الميت إذا بكيتّه وعددت محاسنه (ابن منظور، 1997، 14: 309). ورثيت الميت بالشعر، وقلّت فيه مراثية ومراثي. وقد ورد جمع المراثية على مراثي ولكن يرد جمع للرثاء (الرحمشرقي، 1979، 155). إذن كما يقول الأستاذ، مقبول علي بشير النعمة في كتابة المراثي الشعرية في عصر صدر الإسلام هي: القصيدة أو القطعة الشعرية أو الأثر الأدبي الذي تتخذ الرثاء موضوعاً لها، أما الرثاء فهو الإشفاق والحزن، وهو أمر معنوي (النعمة، 1997، 15). وهو بكاء الأهل والأقارب حين يعصف بهم الموت، فيئن الشاعر ويتفجع، إذا يشعر بلطمة مروعة تصوب إلى قلبه، فقد أصابه القدر في ابنه أو في أبيه أو في أخيه، وهو يترنح من هول الإصابة ترنح الذبيح، فيبكي بالدموع الغزار، وينظم الأشعار ليث فيها لوعة قلبه وحرقة (ضيف، 1988، 5). ويعتقد قدامة بن جعفر أنّ الرثاء: البكاء على الميت وعد محاسنه شعراً (قدامة بن جعفر، 1302هـ/1884م، 118). ونستخلص من هذا التعريف أنّ الرثاء يقوم على أساسين: الأول هو التعبير عن مشاعر الحزن ولا رثاء بدونه، والثاني ذكر محاسن المراثي له وأمجاده.

أما البكاء على الميت والتعبير عن مشاعر الحزن والأسى أمر ضروري إذ لا يستقيم الرثاء بدونه، وهذه العاطفة هي التي أشار إليها ابن رشيق في تعريفه الرثاء وسبيل الرثاء يكون ظاهر التّفجّع بين الحسرة (القيرواني، 1972، 2: 147).

ولقد تداخل المعنى الاصطلاحي بالمعنى اللغوي للرثاء فأصبح المعنى يمثل مدلولاً واحداً عند بعض النقاد. وقد أشارت بشري الخطيب إلى ذلك بقولها: إنّ الرثاء يعني بكاء الميت وتعداد محاسنه بالشعر، والنثر.

ولكلّ أمة مراثيها، والأمة العربية من الأمم التي تحتفظ بتراث ضخم من المراثي، وهي تأخذ عندها ألواناً ثلاثة وهي، النّذب، التّأبين، والعزاء، وستنطرق إلى دراسة أنواع الرثاء فيها يلي:

النّذب: هو بكاء الأهل والأقارب حين يعصف بهم الموت، فيئن الشاعر ويتفجع وينظم الأشعار ليث فيها لوعة قلبه وحرقة.

التأبين:

وليس التأبين نواحاً ولا نشيجاً على هذا النحو، بل هو أدنى إلى النّاء منه إلى الحزن الخالص، إذ يخرّ نجم لامع من سماء المجتمع، فيشيد به الشعراء منوّهين بمنزلة السّياسيّة أو العلميّة أو الأدبيّة، وكأنّهم يريدون أن يصوّروا خسارة النّاس فيه. ومن هنا كان التأبين ضرباً من التعاطف والتعاون الاجتماعي، فالشاعر فيه لا يعبر عن حزنه هو وإنّما يعبر عن حزن الجماعة وما فقدته في هذا الفرد المهم من أفرادها، ولذلك يسجل فضائله وبلح في هذا التسجيل وكأنّه يريد أن يحفرها في ذاكرة التاريخ حفراً حتى لا تُنسى على مرّ الزمن. أما العزاء مرتبة عقلية فوق مرتبة التأبين، إذ نرى الشاعر ينفذ من حادثة الموت الفردية التي هو بصدها إلى التفكير في حقيقة الموت والحياة. وقد ينتهي به هذا التفكير إلى معانٍ فلسفية عميقة فإذا بنا نجوب معه في فلسفة الوجود والعدم والخلود. ومرّد هذا كلّهُ أنّ الحياة ظلّ لا يدوم.

ونشاهد هذه الألوان الثلاثة من الرثاء في جميع مراثي الشعراء من عصر الجاهليّ إلى عصرنا الرّاهن سواء أكان رثاء خاصّا اتّجه إلى بكاء النفس، والقريب، أو القوم، أم رثاء عامّا فرضته المجاملة وطبيعة الحياة الاجتماعية. ولا يختصّ الرثاء بالشعر، بل هو شائع في النثر والشعر ولكن غلب هذا الفنّ في الشعر.

الرثاء في الأدب العربيّ

عرّف العرب شعر الرثاء منذ العصر الجاهليّ لأنّ الرجال والنساء جميعاً كانوا يندبون الموتى، كما كانوا يقفون على قبورهم مؤبّنين لهم مثنّين على خصالهم، وقد يخلطون ذلك بالتفكير في مأساة الحياة وبيان عجز الإنسان وضعفه أمام الموت، وأنّ ذلك مصير محتوم.

شعر الرثاء فهو كان في أصله "تعويضات للميت حتّى يطمئنّ في قبره". ولا بدّ أنّ هذه الصورة الأولى من الرثاء خضعت لتطوّرات عديدة إلى أن أخذت شكلها القصيدة الناضجة. ويحدثنا ابن سلام الجُمحي في كتابه "طبقات فحول الشعراء" أنّ "أول من قصد القصائد وذكر الوقائع المُهلّهل عدي بن ربيعة بن الحارث التّغليّ (ت. 531م) في قتل أخيه كُليب وائل". وفي هذا الخبر دلالات هامة منها:

1. أنّ وقوع الموت كان من أقوى دوافع الشعراء لنظم الأشعار في الرثاء.

2. أنّ شعر الرثاء وليد انفعال صادق ومعاناة مؤلمة.

3. أنّ الإنسان الحزون يحاول أن يخفّف من أحزانه بواسطة الشعر.

وتطوّرت قصائد الرثاء في العصر الجاهليّ، إذ نرى قد استُخدم في نظمها وسائل فنيّة كثيرة، وقد نوّعوا هذا الفنّ تنوعاً واسعاً، كما اهتمّ الشعراء بصورهم واستعارتهم وتشبيهاتهم في نظم هذا النوع من الشعر، مع العناية التامة بموسيقاهم وأوزانهم والملاءمة بين أنغامهم وشعور الحزن الذي يتعمّق قلوبهم وأفئدتهم.

وكان يساهم في هذا الفنّ النساء الرجال والنساء، بل ربّما كان للنساء حظّ الأوفر من القيام عليه، إذ كنّ هنّ اللاتي يقمن في ندب الميت أياً ما، بل ربّما امتدّ قيامهنّ عليه سنوات، وقد يقمنّ بذلك في مجالس القبيلة وعلى القبور وفي المواسم العظام كموسم عُكاظ.

ومن الطّبيعي أن يتفوّق النساء على الرجال في ندب الموتى والتّوايح عليهم، لأنّ المرأة أدقّ حسّاً وأرقّ شعوراً، وأيضاً فإنّ حياة الرجال تقوم على القتل وسفك الدّماء والتّفاخر بالشّجاعة والبطولة، فكانوا يأنفون أن يقعدوا للبكاء وذرف الدّموع كالنساء، بل لقد ذهبوا يظهرون التّجلّد والصّبر على من يموت منهم.

وهذه الصّور الجاهليّة للرثاء استمرت في الأدب العربيّ مع عصوره المختلفة، تارة تنمو وتارة تتطوّر، تحت تأثير نموّ العقل العربيّ من جهة، وتطوّر حياة العرب واختلاف الأحداث عليها من جهة ثانية، ولكّنها في جملتها ترتدّ إلى هذه الصّور الجاهليّة، وتشتقّ منها كما يشتقّ الفرع من أصوله.

رثاء أهل البيت لدى شعراء لبنان المسيحيين

إنّ دراسة شعر شعراء لبنان المعاصرين، تُبيّن لنا أدب هذا القطر العربيّ قد شاهد تطوّراً ملحوظاً في العصور المختلفة، إنّ أدب لبنان قد تأثّر فيه الطّروف السّياسيّة والاجتماعيّة، وأصبح الأدب وسيلة لتحسين هذه الطّروف في عصرنا. وقد جاء قسم كبير من الأدب اللّبنانيّ ملتزماً في خدمة شعر المقاومة والدّفاع عن الإيمان والعقيدة. وقد قام شعراء من مذاهب وأديان مختلفة

كالمسيحية وغيرها قاموا بالدفاع عن وطنهم وعقيدتهم وإيمانهم، واتخذوا عظماء الدين أسوة لأنفسهم، فجاء شعرهم شعرا ملتزما، فأهل البيت هم أسوة الدفاع عن الدين، والعقيدة، والإيمان، فهذه الأسباب نرى شعراء لبنان انجذبوا إلى أهل البيت.

أما القصائد التي نُظمت في رثاء الحسين بن علي، فهي أكثر ظهورا في شعر شعراء لبنان. فقد نظم شعراء لبنان المسيحيون قصائد في رثاء الحسين مؤكدين فيها العلاقة بين دين الإسلام والمسيحية. وخاصة القتل من أجل العقيدة والإيمان، قد جعل مدلولاً مشتركاً بين شعراء لبنان المسيحيين والمسلمين حيث أصبح الحسين بن علي الحوار المشترك بين الإسلام والمسيحية.

ولم يكتف شعراء لبنان المسيحيون في رثاء الحسين بن علي ويوم عاشوراء بوصف الأحداث والمصائب التي شهدتها آل الرسول في واقعه الطّف، بل جعلوا علاقة بين الماضي والحاضر لمعالجة مأساتهم في عصر الزّاهن وما يعاني الشعب من ظلم واضطهاد، وأن يذكروا الحسين وتضحيتهم في سبيل إرساء العقيدة والدين وأن يجعلوا منه أسوة لبعث الشعب من جديد ومقاومة الظلم والوقوف في وجه الطّغاة. فهذا يصبح الحسين أسوة المقاومة والاستشهاد في شعر شعراء لبنان المعاصرين. وقد تطرّق الشعراء في رثائهم لآل البيت إلى مواضيع مختلفة منها التعبير عن الحزن، وذكر فضائل آل البيت ومناقبهم، ووصف المصائب والحن التي حلت بهم، ودور أهل البيت في إحياء دين الإسلام. ومن بين الشعراء اللبنانيين النصارى الذين ألفوا في الحسين بولس سلامة حيث نظم "ملحمة الغدير" وتضم أكثر من 3000 بيت، كما ونظم ملحمة علي والحسين واشتملت 220 بيتاً، وعبد المسيح الأنطاكي الذي كتب "الملحمة العلوية" ضمت 5595 بيتاً، والشاعر رمون قسيس الذي كتب "ملحمة الحسين تجاوزت أبياتها المائة بيت.

التعبير عن الحزن في رثاء أهل البيت

تبدأ قصائد الرثاء عادة بالبكاء ويصوّر الحزن والالم الذي حلّ به إثر فاجعة فقدان الأحبة والأصدقاء والأقرباء و...، وهذه أوّل مرحلة من الرثاء التي تسمّى "النّذب". في هذا المقطع من قصيدة الرثاء، يسعى الشاعر ليعبّر عن شعوره وعواطفه تجاه الحبيب الذي فارقه ورحل وأن يصف المعاناة التي يتحمّلها بسبب هذا الفقدان، ويسعى أن ينقل هذا الشعور والعاطفة إلى المتلقّي عبر الأحاسيس التي تحمّلها مفردات الشعر، فيختار الشاعر أدقّ المعاني والصّور التي تثير انتباه الشاعر وشعوره وعواطفه كأنّ المتلقّي هو الذي أصيب بهذا الفقدان المفاجئ.

ولا تُستثنى المراثي التي نُظمت في رثاء أهل البيت إذ نرى هذه المراثي كغيرها تبدأ بالنّذب والتعبير عن الحزن والأسى في استشهاد أهل البيت، ولكن الشاعر يمزج رثاءه بالقداسة التي يمتلكها المراثي له فيختار المعاني والصّور الأدبية التي تدلّ على عظمة آل البيت. فيسعى الشاعر أن يتكلّم عن هذا الشعور بالحزن والألم وأن يعبّر عن بالعواطف الصادقة، فلموت أهل البيت مكانة عظيمة في مراثي شعراء لبنان. فهذا الشاعر جوزيف الهاشم -وهو أديب لبناني من أدباء وعلماء ورجال السياسة في عصرنا الزّاهن- له قصيدة رثاء في علي بن أبي طالب، يعتقد الشاعر من خلال أبيات هذه القصيدة أنّ الأمة الإسلامية، بل البشرية قد خسرت خسرانا عظيما بمقتل علي بن أبي طالب فيقول:

يا "ابن مُلجَم" إِنَّ سَيْفَكَ خَاسٍ	السَّيْفُ زَيْفٌ وَالرَّدَى أَوْهَامُ
ظَفَرَ الْعَلِيِّ وَفَارَ يَوْمَ سَقُوطِهِ	وسما، وربّ الكعبة العَلامُ
أَمَّ الصَّلَاةَ مُضَرَّجًا بِدَمِ الثُّقَى	وكأتمّ الجرحُ المميّتُ وسامُ
وكأنّ أهل البيت، ما اشتاقوا سوى	دربِ الشّهادة والجهاذ مرّامُ

(الهاشم، 1999، 18)

يشير الشاعر في هذه الأبيات إلى تلك العبارة التي قالها علي في أثناء صلاة الصبح عندما ضربه عبد الرحمن ابن ملجم المُرادي (ت. 661م) في رأسه، فقال: "فُزْتُ وربَّ الكعبة" وتشير هذه العبارة إلى غربة علي واشتياقه إلى الاستشهاد.

لم يكن مقتل الامام علي حادثة مفاجئة فحسب، بل هو رمز الصمود وتضحية النفس من أجل العقيدة والإيمان وهو ركز لكل إنسان حرّ ولكل من أراد أن يدافع عن عقيدته وأن يقف صامداً في وجه الظالمين. فيقول الشاعر:

هل ينطوي دينٌ وأنت شهيدُهُ وله بِشْمَخَةٍ منكَبِيكَ دِعَامُ

(الهاشم، 1999، 25)

فيعتقد الشاعر أنّ الدين الذي قُتل من أجله عليّ بن أبي طالب سيبقى على مدى الحياة ولن ينمحي من أذهان العالم، لأنّ دعائم هذا الدين سترتفع على منكبي شهيد كعلي بن أبي طالب. قد شبه الشاعر منكبي عليّ بالدعائم والأعمدة التي يبنى عليها الدين مستحكما وبهذا أشار الشاعر إلى عظمة عليّ ودوره في تحكيم أساس الدين.

وللشاعر بولس سلامة من شعراء لبنان قصيدة تحت عنوان "ملحمة عيد الغدير" يتكلّم فيها بعاطفة صادقة عن مقتل عليّ ويذرف الدمع في رثائه ويعتقد أنّ عليّا هو التور الذي انطفأ من قبل أن يصل أوائله، فيقول:

هاتِ يا شعُرْ أدْمَعاً لِرِثَائِهِ غَابَ ضَوْءُ النَّهَارِ قَبْلَ انْقِضَائِهِ
واذْكُرِ النَّسْرَ عَالِياً لَمْ يُدْتَسِ فالأَثِيرُ الطَّهَوْرُ فِي أَجْوَائِهِ
يكسِفُ الشَّمْسَ بِالْجَنَاحِ عَرِيضاً ويسدُّ الفُضَاءَ رَحْبَ فُضَائِهِ
زَوْجَ بِنْتِ الرَّسُولِ خَلَقَكَ أَسْمَى من مَنَاطِ الْعَيُّوقِ فِي إِسْرَائِهِ
شِمَّةُ التَّوْرِ أَنْ يَظْلَ نَقِيّاً لا يَمْسُ الْغَبَارُ كُنَّةَ صِفَائِهِ

(سلامة، 1423هـ/2002م، 183-187)

فالشاعر في هذه الأبيات يتكلّم عن عظمة عليّ ويشبّهه بالنسر في علو شأنه وشجاعته ويعتقد أنّ مكانته أعلى من العيوق (النجم الأحمر) في السماء، ونور هدايته لا يمسّه الغبار، وهو سيبقى حيّاً على مدى العصور.

ويواصل الشاعر ويقول:

لَيْتَ يَوْمًا قَدْ جَاءَ بَابِنِ مُرَادٍ كَفَّنَتْهُ الْعَصُورُ فِي دَهْمَائِهِ
ايه عبدَ الرَّحْمَنِ نَذَلَ مُرَادٍ يا عِدْوَ السَّمَاءِ فِي بَغْضَائِهِ
جَهَشَ الْمَسْجِدُ الْيَتِيمُ بِكَاءٍ حينَ غَابَ الْإِمَامُ مِنْ فَقْهَائِهِ
وبكى الشَّطُّ الْفَرَاتُ وَغَاضَتْ زَقَرَقَاتُ الْهَزَارِ فِي عَيْنَائِهِ
(ن.م، 286-287)

يعتقد الشاعر أنّ عليّا بمقتله في محراب مسجد الطّهر بالكوفة الذي هو موضع الإيمان وتمازج الدين. وقد جاء الشاعر بهذه الصورة الأدبية كأنّ المسجد من أبناء عليّ، وبمقتله قد تيمّم المسجد وأجهش بالبكاء. وجعل الشاعر هذا المأتم يسير في جميع كيان العالم حيث يبكي شطّ نهر الفرات، عصفير الهزار.

ويشير الشاعر بولس سلامة في المقطع الأخير من قصيدته إلى واقعة الطّفّ، ويبيّن كيف تأثّر بأحداث كربلاء وأحبّ الحسين من صميم قلبه وفؤاده حيث امتزج هذا الحبّ بروحه، فهو لا يكتفي بذكر مواقف تاريخيّة من واقعة عاشوراء، بل يعبر عن مشاعره وعواطفه، ويصوّر هذه الأحداث والمواقف مبيناً أحزانه. فالشاعر في مقطع من هذه القصيدة، يرى أحزان عاشوراء تملأ العالم بأسره، حيث يرى الأنهار، والأشجار، والطيور تأثّر حزناً وألماً بسبب واقعة عاشوراء. وجميع العالم يرثي الحسين محزوناً، فيقول:

أدْمُعُ الطَّفِّ والفَرَاتِ وَغَاضَتْ زَقَرَاتُ فِي أَيْكَةِ غَيْنَاءِ
صَبَغَ النَّهْرُ قَانِيًا وَتَدَلَّتْ شَجَرَاتُ تَكَادُ تُلْقِي الرِّثَاءِ
أَرْسَلَ الْعَنْدَلِيبُ شَجْوَ جَرِيحٍ وَاسْتَحَرَّتْ فِيهِ الدَّمُوعُ دَمَاءِ
حَسِبْتُهُ الْعَيُونُ تَرْجِيحَ صَبٍّ بَاعَدَتْهُ الْأَيَّامُ عَنْ حَسَنَاءِ
وَهُوَ لَمْ تَعْلَمْ الْغُصُونُ نَوَاحٍ بَثَّ فِيهَا الْأَسَى بِعَاشُورَاءِ

ويذكر الشاعر جوزيف الهاشم واقعة عاشوراء ومقتل أهل البيت فيها، ويذرف الدَّمُوع ويكي، وتمتزج مع دموعه فرحة لأنّ مقتل الحسين وأصحابه في الحقيقة هو انتصار الدّين، وهم -الحسين وأصحابه الذين قُتلوا في كربلاء- الذين فازوا فوزاً عظيماً بمقتلهم، وقد خسر أعداء الإسلام وأنّ انتصارهم كان بالظّاهر، فيقول:

إِنْ يَغْدُرُ السَّيْفُ، وَالْإِسْلَامُ مَنْتَصِرٌ فَالْتَّغْرِ يَفْتَرُ عِنْدَ الْحَزَنِ وَالْأَلَمِ
تَبْكِيكَ ثَوْرَةً عَاشُورَاءٍ فِي طَرَبٍ وَالْدَّمْعُ يَنْسَابُ رُقْرُقًا مَعَ النَّعَمِ
(الهاشم، علويّات، 1999، 65)

أمّا الشّاعر جوزيف حرب فقد تناول في قصيدة له موسومة بـ "بكائية رأس الحسين" رثاء الحسين بن عليّ وأصحابه، ويصوّر ذلك المشهد الذي دخلت رؤوس شهداء كربلاء إلى بلاط الخليفة يزيد بن معاوية في قصر الخلافة بدمشق، ويشبّه رؤوس أصحاب الحسين المقطوعة على الرّماح بالمنارات التي تدخل قصر الخليفة يزيد بن معاوية في دمشق الواحدة تلو الآخر، فيقول:

ثلاثٌ وسبعون رأساً/ ورأس الحسين طليعتهما/ منارةٌ خلفها منائرُ/ دخلت البلاطُ اليزيديّ على سنّ ثلاثة وسبعين رحماً..! فهل
لشمس بعد أن تشرق؟/ ولفراتٍ بعد أن ينساب!/ ولريح بعد أن تهبّ! / ولطائر بعد أن يسحب جناحيه! / ولنبت بعد أن يُمرّع! /
ولقضاء بعد أن يعدلّ! / ولحكيم بعد أن يستوي! / ولدين بعد أن يشيع! / ولسلام بعد أن يسود" (العامليّ، 1422هـ/2001م، 48).

إنّ الشّاعر في هذا النّص الشعريّ يرى أنّ الحزن يسري في جميع العالم بسبب مقتل الحسين، فالشمس لا تشرق من بعده، والفرات لا يجري والريح لا تهبّ والطائر لن يخلق في السّماء، والزّرع لا ينمو، فالشّاعر يقيم العزاء في كلّ أركان العالم.

ذكر فضائل أهل البيت

إنّ الشّاعر في رثائه يذكر محاسن الميّت، وفضائله وحسبته ونسبه وهذا ما يُسمّى التّأبين، وليس التّأبين نواحا ولا نشيجا، بل هو أدنى إلى التّناء منه إلى الحزن الخالص، إذ يخرّ نجم لامع من سماء المجتمع، فيشيد به الشّعراء منوّهين بمنزلته السياسيّة أو العلميّة أو الأدبيّة، وكأنّهم يريدون أن يصوّروا خسارة النّاس فيه. ومن هنا كان التّأبين ضرباً من التعاطف والتّعاون الجماعيّ، فالشّاعر فيه لا يعبر عن حزنه هو وإنّما يعبر عن حزن الجماعة وما فقدته في هذا الفرد المهمّ من أفرادها، ولذلك يسجل فضائله ويلخّ في هذا التّسجيل وكأنّه يريد أن يحفرها في ذاكرة التاريخ حفراً حتّى لا تنسى على مرّ الزمان.

إنّ شعراء لبنان المعاصرين أيضاً في رثائهم لأهل البيت، ذكروا فضائلهم ومحاسنهم، وقد وصفوا هذه الفضائل في أشعارهم، ولعلّ أهمّ الفضائل والمحاسن التي قام شعراء لبنان المعاصرين بذكرها ووصفها وهي "ذكر حسب ونسب أهل البيت ذكر صفات الأخلاقيّة، الإيمان والعقيدة، الشّجاعة، الجود والكرّم، الصّبر والصّمود في سبيل الإيمان.

فالشّاعر بولس سلامة، يذكر عليّاً في شعره بألقابٍ مختلفة منها: "سِدرة المنتهى في الكمال الإنسانيّ"، و"عليّ العصور" (السّيّد، 1425هـ/2004م، 277).

وهو يتكلّم عن عِظَمَةِ عليّ وفضائله ويعتقد أنّ الله خلق عليّاً لمناصرة أفضل أنبيائه. وأنّ عليّاً هو نور الهداية الذي يُهدي به الضّالّون، يقول:

هاشمي صافي الفرند، برأه
في خِصَمِّ من الضّياءِ رحيبٍ
الله نصرًا لمصطفى أنبيائه
صبّ فيه الإله فيضَ بهائه
يا عليّ العصورِ ذِكْرُكَ نورٌ
وهديّ للنّفوسِ إنّ ضلّ تائه

(عقل، 2009، 261)

والشّاعر المسيحيّ المعاصر جوزيف الهاشم الذي يُعدُّ من أبرز شعراء التّصاريّة في الأدب المعاصر، له ديوان شعر تحت عنوان "علويّات، قصائد من وحي الإمام" يثبت فيه ولاءه الحاسم والصادق لعلّي ولآل البيت. ويعتقد أنّ عليّاً في أعلى ذروة الصّفات الإنسانيّة فلم يكن هناك من يعتلي عليّ سوى الله ونبيّه محمّد، في قصيدة تحت عنوان "أهل البيت" يخاطب الحسين بن عليّ ويقول:

يا ابنَ العليّ، ومن يعلو العليّ سوى
وأحمد في دُني الإسلام، قد ختمتُ
اثنين، ربّك فوق الرّسل كلّهم
به التّبوء، كفّ الحاكم الحاكم

(الهاشم، 1999، 58)

وفي موضع آخر يتكلّم الشّاعر عن نَسَب عليّ بن أبي طالب ويمدحه، ويذكر بعض صفاته كمولود في داخل الكعبة، ويعتقد أنّ ليس هناك لا في قديم ولا في المستقبل، من يستطيع أن يصل إلى هذه المكانة أن يكون وليد الكعبة، فيقول:

نِعَمَ العليّ ونِعَمَ الاسمُ واللّقبُ
الباذخان: جناح الشّمس ظلّمها
يا من به يشرئبُ الأصلُ والنّسبُ
والهاشميّان: أمّ حرّة وأب
لا قبل، لا بعد، في بيت الحرام شدا
طفل ولا اعتزّ إلا باسمه رجب

(الهاشم، 1999، 31)

ويذكر الشّاعر أيضاً صفة أخرى لعلّي، وهي أسبقية عليّ في الإيمان حيث سبق النّاس بالإيمان فكان أوّل من آمن بالله والرّسول في حين كان النّاس يعبدون الأوثان ويشركون بالله، فيقول:

يومَ الفساد طغى، والكفرُ منتشرٌ
الله كرمه، لا "للسّجود" لها
وغطرس الشّرك والأوثان تُنتصبُ
ولا بمكة أصنام ولا نُصبُ

(الهاشم، 1999، 31).

ويضيف:

سيفُ الجهادِ فتى، لولاه ما خَفَقَتْ
تجسّدت كلّ أوصافِ الكمالِ به
لُدعوة الله راياتٌ ولا قَبُ
في ومضٍ ساعده الأعصار والغصْبُ
هو الإمام، "حسام الدين"، فارسُه
ما زَغَرَدَ السّيفُ إلا بين قَبْضَتِهِ

(الهاشم، 1999، 34-45)

ومن الفضائل التي يشير إليها الشّاعر حول عليّ، سعة علمه، وفي هذا المجال يذكر عليّاً بلقبين: "سيدّ البيان" و "باب العلم"، ويعتقد أنّ علم عليّ يُنهّل من القرآن الكريم، فيقول:

سيدّ البيان و"باب العلم" مُشترعا
يَعْبُ من منهل القرآن، يحفظُه
والفقه مُد كان نهج من بلاغته
والنهج كالبحر، فاغرُف من غزارته

لسائنه حجة للمشركين إذا ضاقوا بحجته، هأنوا بساحته

(الهاشم، 1999، 45-48)

يصور الشاعر في هذه الأبيات العلاقة الوثيقة فيما بين القرآن وكتاب "نحج البلاغة" لعلي، ويعتقد أن علياً قد تلقى معارف القرآن الكريم من صميم وجوده، واحتفظ بهذه المعارف في قلبه وعمل بها قولاً وفعلًا في حياته.

ومن الصفات الخلقية والفضائل التي اعتنى بها الشاعر المسيحي المعاصر في قصائده في رثاء علي بن أبي طالب وأمعن فيها، هو الزهد وتقوى علي. فزهد علي وتقواه وعبادته كانت مرضاة لرب العالمين، فما كانت عبادته طمعاً بالجنة ولا خوفاً من عذاب النار، بل كانت عبادة مخلصمة حقيقية لوجه الله، وهذه العبادة هي عبادة الأحرار.

يصوم، يطوي، وزهد الأرض مَطْمَحُهُ والحل مأكله، والجوع والغضب
يحتال في ثوبه المرقوع، مرتدياً عبادة الله، فهي الغاية الأرب
من رصع الهام بالتقوى، فإن على أقدامه، يسفح الإبريز والذهب

(الهاشم، علويات، 1999، 34)

والشاعر جوزيف الهاشم في قصيدة أخرى أنشدها في رثاء الحسين بن علي بهذا العنوان "مُشْعِلُ الثَّوَرَيْنِ"، يذكر فضائل الحسين ونسبه، ويذكر علو مقامه وشأنه، ويصف فضائل أمه فاطمة بأنها طاهرة، وخير نساء العالمين كمریم العذراء، وأبيه الذي اعتلى به الإسلام، رابطاً بين ديانة المسيحية، والإسلام، فيقول:

يا ابن فاطمة الزهراء يا ابن علي وأي مجد تراه بعد في القمم
يا ابن خير نساء العالمين، سمّت كطهر مريم في قدسية الرحم
بنت الرسول، و"بعض منه" إن بها تُصان ذرية للبيت والحرم
يا ابن علي، ومن يعلو علي سوى اثنين: رثك فوق الرسل كلهم
وأحمد في دنى الإسلام، قد ختمت به النبوة، كف الحاكم الحكيم

(الهاشم، 1999، 58)

وللشاعر المسيحي المعاصر ريمون قسيس قصيدة طويلة في رثاء الحسين، بعنوان: "ملحمة الحسين" تقع في 114 بيتاً، يوظف الشاعر في مطوّله هذه أغراضاً شعرية مختلفة، كالملاح والصور الأدبية المتنوعة ويذكر مقاطع من ثورة الحسين، كما يذكر أسماء الأشخاص والأماكن التاريخية في واقعة كربلاء، ولعل أبرز ميزات هذه القصيدة أن الشاعر قد ذكر فيها شهداء النصرانية في واقعة الطف، مثل: وهب النصراني وسفير الروم في بلاط الخليفة يزيد بن معاوية، بهدف الربط بين دين الإسلام ودين المسيح. كما وأشار الشاعر في أبيات من هذه القصيدة إلى رأس الحسين مقارناً ورباطاً إياه مع رأس يحيى بن زكريا النبي.

فيذكر الشاعر في هذه القصيدة فضائل الحسين ويعتقد أنه وجه رسولي، وهو سبط النبي الأعظم يحمل رسالته النبوية لجميع البشر، يقول الشاعر المسيحي المعاصر ريمون قسيس:

يا حفيد النبي قد جئت تُعلي راية ترتجى لعرب وقرس
هو مبي-قد قالها-أنا منه و"حسيناً" سمّوه من غير لبس
هو سبط مُطَهَّرٍ كعلي هاشمي وأمره لا لرجس

(قسيس، 2011)

يشير الشاعر في هذه الأبيات إلى الحديث النبوي القائل في حق الحسين: "حسين مبي وأنا من الحسين" الذي يدل على شأن الحسين ومنزلته عند النبي، فهو سبط النبي، وهو من بيوت أذن الله أن ترفع، في بيت النبوة الذي نزلت في حقهم آية التطهير.

ويواصل الشاعر رمون قسيس أشعاره بذكر فضائل الحسين في قصيدته "ملحمة الحسين"، فالحسين لا بديل له في الشجاعة والجود، وهو ينبوع ومصدر الفطنة والكياسة معا، وليس هناك من يُسامي الحسين في هذه الخصال، فيقول:

جراًة في شجاعة جود كَفِّ لا يُجَارَى، وَنَبْعُ فَهْمٍ وَنَدَسِ

(قسيس، 2011، 29)

والحسين هو أبو الأئمة الذي يُهتدى به كما يُهتدى بالفرقد بدون ذهاب ضوء، فيقول الشاعر رمون قسيس:

و"حسين" أبو الأئمة يمشي في الوري فرقدا بلا أي طمس

(ن.م، 33)

قد شبه الشاعر في هذا البيت شأن الحسين بن علي في الهداية إلى نور التجم الذي يضيء طريق الحق للبشرية فيهتدي به البشر.

والشاعر جوزيف الهاشم يصف الحسين بأنه قد نذر نفسه الطاهرة، وقد جاد بنفسه وهو غاية الجود ليكون شهيد الحق والعدل. فيقول:

مندورة نفسك الشماء مُد بُرئت للبود بالروح، ما أسماء من كرم

(الهاشم، 1999، 58)

وصف مصائب أهل البيت

من القضايا التي اعتنى بها الشاعر أثناء رثائه لكبار الشخصيات، هو ذكر المصائب والحن والآلام التي شهدتها وواجهها الشخص المرثي له في حياته، ليخفف الشاعر بهذا عن أحزانه وآلامه ويجعل رثاءه أكثر تأثيراً في المتلقي وإضافة إلى هذا، ليشرح للمتلقي مقاطع من واقع حياة المتوفى في الماضي ليتعرف عليه ويتأثر من فقدانه.

فمن المصائب والحن التي شهدتها أهل البيت في حياتهم وقد غيرت هذه الحادثة مسار التاريخ بأكمله هي قضية السقيفة ووصاية علي، فيوم السقيفة في تاريخ الإسلام هو اليوم الذي تبدأ فيه مصائب وحن أهل البيت لأن حق الولاية والإمامة على المسلمين قد اغتصب من علي وأبنائه وقد كان أمراً إلهياً.

وقد نزلت في هذا الشأن آية تُعرف لدى الشيعة بأية إكمال الدين، قال الله تعالى: (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً) سورة المائدة: آية 3. وقد أبلغ النبي هذه الآية للناس في يوم الثامن عشر من شهر ذي الحجة السنة العاشرة من الهجرة في غدير خم.³ ولكن الناس قد جهلوا هذه القضية ونكروها.

إن الشاعر المسيحي اللبناني يرثي أهل البيت، ويشير إلى هذه القضية ويعتقد أنه يوم السقيفة هو اليوم الذي نُكست فيه أعلام الإسلام وجهزت جيوش الكفر لصد دين الحق، وما كان هذا الأمر إلا غرائز وهوى النفس الذي اتبعه قوم ضالون، فيقول:

لولاك يا يوم السقيفة ما التوت تلك الصفوف، ونكست أعلام

ضلت بأحلام النفوس غرائز فطغى الهوى، واختلت الأحكام

(الهاشم، 1999، 19)

لا شك أن واقعة الطف هي من أفجع الأحداث في تاريخ الشيعة، وقد وصفها الشعراء في العصور المختلفة ورثي لمصائبها وفي العصر الزاهن نرى رثاء هذه الواقعة على لسان شعراء النصرانية من لبنان وهذا الرثاء يعتبر من أصدق المراثي لأنه يعبر عن عاطفة صادقة رسمتها ريشة هؤلاء الشعراء.

فالشاعر رمون قسيس يذكر زينب بنت علي⁴ في مقاطع من قصيدته ملحمة الحسين بحماس ولهفة، وبالاستعانة ببعض القصائد المنسوبة إلى زينب، والتي تعبّر عن لسان حالها يقول في الأبيات 82-85 من قصيدته:

زينب أنت أخته خير أختٍ لطمت وجهها وصاحت: لتعسي
عندما شاهدته رأس حسين أنشدت شعرها تُشير بخمس
يا هلالاً لما استتمّ كمالاً أنهت الحرب ناجذيتها بضرس
ما توهّمت يا شقيق فؤادي كان هذا ما حقق اليوم أمسي

(قسيس، 2011، 37)

وأما الشاعر اللبناني المعاصر جوزيف الحرب، يرسم تلك المحن والمصائب التي حلّت بآل الرسول، ويتفجّع لمشاهد منها. فهو يرسم في أشعاره مشهد استشهاد الطفل الصغير⁵ الذي استشهد وقد حمله الحسين ابن علي في كربلاء على يده. ويعتبر هذا المشهد من أفجع وأبشع مشاهد واقعة كربلاء والذي لن ينمحي من ضمائر البشرية، عندما طلب الحسين شربه من الماء لطفله الصغير، ولكن جيش الأعداء قد رمى الطفل بسهم في عنقه بدلا من الماء، فيقول:

أراك لا تنسين يا كربلاء كيف صاح به أحد الجند/ خذ.. أسفه/ وأوتر القوس ورمي الطفل بسهم اختلج عليه أحشاؤه!
فهبيني كربلاء أرح رأس طفل الحسين على يدي/ هبيني ذوابتيه المرسلتين/ وخلاخيل قدميه/ ومشملمته/ وقميصه المشقوق/ والعقد
والعود والبكاء الذي ما ترسل من بين أجفانه/ مخافة أن يتملح فمه إذا لامست قطرات دمعه شفتيه. (العالمي، 1422هـ/2001م، 42)

دور أهل البيت في إحياء دين الإسلام

يعتقد الشيعة أنهم قدّموا حياتهم من أجل تثبيت الدين والعقيدة، وقد جاهدوا في هذا السبيل إلى درجة الاستشهاد وتحملوا المشاق والتعذيب من قبل السلطات الظالمة آنذاك. فأهل البيت هم معدن الرسالة ومفسرو الوحي من بعد النبي، وقد كرّسوا حياتهم من أجل إحياء الدين المحمدي، وقد واجهوا في هذا السبيل الكثير من المعاناة فهذا نرى الشاعر الملتزم في رثائه لآل بيت الرسول يشير إلى دورهم ومنهجهم ومجاهداتهم في إحياء الدين.

فنرى الشاعر المسيحي المعاصر جوزيف الهاشم يتطرّق إلى دور أهل البيت في إحياء دين الإسلام، ويعتقد أنه لولا علي لما ارتفعت رايات الدين التي تدعو إلى الحقيقة والإيمان، ولم تكن هناك مساجد ليُعلّى ويكبر اسم الله فيها، وبهذا يشير الشاعر إلى دور علي الحاسم في تعزيز الدين، فيقول:

سيفُ الجهاد، فتى، لولاه ما خفقت لدعوة الله، رايات ولا قُبُب

(الهاشم، 1999، 34)

وهذا رمون قسيس يقول: قد أراد الحسين من مقتله في معركة كربلاء الذي كان قدرا مقدّرا من لدن الخالق، أن يترك للأجيال والأمم جمعاء أن تنعم بضراوة النضال وقداصة المواقف وغنائم الشهادة ليثبت بها دين الله. يقول: ولقد عشت للرماح العوالي في سبيل الإله يُفدي بنفس

(قسيس، 2011، 24)

إنّ مقتل الحسين في واقعة الطفّ هو رمز التّضحية من أجل الدين والعقيدة، والشاعر المسيحي المعاصر رمون قسيس مع وصفه لمواقف واقعة عاشوراء ومقتل الحسين، يصوّر مدى دور الحسين في إحياء دين الله، فمقتله لم يكن إلا دعوة من الله وقد لبّاه الحسين من غير أن يوجس في نفسه خيفة، فهو يقول:

قَتْلُ نَفْسٍ مِنْ أَجْلِ رَبِّ قَدِيرٍ هُوَ أَمْرٌ مِنْ غَيْرِ خَوْفٍ وَهَجَسٍ

(ن.م، 26)

وفي هذا السياق يصف جوزيف الهاشم مقتل الحسين بن علي في كربلاء بأنه ثورة، وبرأيه أنّ هذه الثورة قد حقّقها الحسين من أجل إرساء الدين والعقيدة، ولولا هذه الثورة لما احتفظ دين الله، ولم يتحقّق سرّ خلق وابتداع العالم والكون لولا هذه الثورة، فيقول:

لولاكم، لما ارتقت لله ألويةٌ وخاب سرُّ ابتداع الكون بالتدم
أن يغدر السيّف، والإسلامُ منتصراً فالثغرُ يفتّر عند الحزن والألم
تبكيك ثورة عاشوراء في طربِ والدّمع ينساب رقيقاً مع النّعم

(الهاشم، 1999، 65)

يشير الشاعر في هذه الأبيات إلى انتصار الدّم على السيوف، وهو انتصار حقيقيّ كما يعتقد أنّ شهداء كربلاء قد انتصروا بدمائهم في نهاية المطاف على أعداء الإسلام.

وقد مزج الشاعر بين البكاء والطرب وبين الدّمع والتّغم وهذه من المحسّنات البديعيّة والصّور الأدبيّة التي منّحت لهذا البيت جمالا، ويصوّر الشاعر من خلال هذه المفارقة أنّ ثورة عاشوراء قد انتصرت، وإن كانت هناك مصائب ومحن قد شهدها آل البيت.

النتيجة

نستخلص من هذه الدّراسة التي تناولت رثاء أهل البيت في الشّعراء لبنان النّصارى المعاصرين النتائج التالية:

- يرى شعراء النّصارى اللّبنانيّين أنّ أهل البيت هم أسوة الإيمان والعقيدة، وأنّ حبّهم هو حبّ الإيمان والكمال والحرية والشّجاعة والعدالة والشّهادة والقيم الإنسانيّة السّامية، لذلك فليس عجباً أن يشترك المسلمون وغير المسلمين في هذا الحبّ المعنويّ.
- تأثر شعراء لبنان النّصارى المعاصرين من عظّمة أهل البيت، وقد نظموا الكثير من القصائد في رثائهم وقد تكلّموا فيها عن عظّمة أهل البيت.
- اهتمّ الشّعراء في العصور المختلفة برثاء آل البيت، وفي العصر الرّاهن نرى أيضاً قصائد كثيرة في رثاء أهل البيت عليهم، ونشاهد قصائد صادقة على لسان شعراء لبنان المسيحيين.
- اهتمام شعراء لبنان المعاصرين بعقيدة صادقة في رثاء أهل البيت، وقد عبّروا في قصائدهم عن حزنهم وآلامهم من مقتل أهل البيت، وذكروا عظّمتهم وفضائلهم، وقاموا بوصف المصائب والمحن التي قد حلّت بآل البيت وقاموا بتبيين دورهم في إحياء دين الإسلام.

قائمة المراجع والمصادر

- أخطب خوارزم، الموفق بن أحمد المكي. مقتل الحسين للخوارزمي. تحقيق: محمد السماوي. قم: مطبعة أنوار الهدى، 1418هـ/1997م.
- الأميني، محمد هادي. عيد الغدير في عهد الفاطميين. طهران: مؤسسة الآفاق، 1417هـ/1997م.
- الأميني، عبد الحسين. الغدير في الكتاب والسنة والأدب. قم: مؤسسة دائرة الفقه الإسلامي، 2004.
- ابن فارس، أحمد. معجم مقاييس اللغة. تحقيق: عبد السلام هارون، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر، 1979.
- ابن منظور، جمال الدين بن محمد. لسان العرب. بيروت: دار صادر، 1997.
- أصغر ياري، علي، رضائي، علي محمد. الإنزياح والتكرار في ملحمة الحسين لريمون قسيس: دراسة أسلوبيّة، دراسات استشرافيّة، 2015، 157-177.
- الجُمحي، محمد بن سلام. طبقات فحول الشعراء. شرح محمود شاكر، القاهرة: مطبعة المدني، 1974.
- الجوهري، إسماعيل بن حماد. تاج اللغة وصحاح العربية. تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، بيروت: دار العلم للملايين، 1990.
- الخطيب، بشرى محمد علي. الرثاء في الشعر الجاهليّ وصدر الإسلام. بغداد: مديرية مطبعة الإدارة المحلية، 1977.
- الزحّشريّ، جابر الله محمود. أساس البلاغة. تحقيق: عبد الرحيم محمود، بيروت: دار المعرفة، 1979.
- سلامة، بولس. عيد الغدير. قم: مطبعة أفق، 1423هـ/2002م.
- السيد، كمال. بولس سلامة شاعر الغدير وكربلاء في الزمن الأخير. بيروت: الغدير، 1425هـ/2004م.
- ضيف، شوقي. تاريخ الأدب العربيّ، العصر الجاهليّ. القاهرة: دار المعارف، 1960.
- ضيف، شوقي. فنون الأدب العربيّ، الرثاء. ط. 4، القاهرة: دار المعارف، 1988.
- الطبرسي، أحمد بن عليّ. الاحتجاج. مشهد: نشر المرتضى، 1982.
- الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن. الأمالي. تحقيق قسم الدراسات الإسلامية مؤسسة البعثة. قم: دار الثقافة للنشر، 1414/1993.
- العالميّ. الانتصار مناظرات الشيعة في شبكات الإنترنت المجلد التاسع دفاعاً عن مراسم عاشوراء وقداصة كربلاء والتربة الحسينية. بيروت: دار المسيرة، 1422هـ/2001م.
- عبّود، مارون. أدب العرب. بيروت: دار الثقافة، 1960.
- عقل، سعيد. علي والحسين في الشعر المسيحيّ. لندن: مؤسسة الحكمة، 2009.
- الفيروزآبادي، مرتضى الحسيني. فضائل الخمسة من الصّحاح السنّة. النّجف: المطبعة الحيدريّة، 1369هـ/1949م.
- قُدّامة بن جعفر، أبو الفرج. نقد الشعر. قسطنطينية: مطبعة الجوانب، 1302هـ/1884م.
- قسّيس، ريمون. ملحمة الحسين. بيروت: دار المحجّة البيضاء، 2011.
- القيروانيّ، ابن الرّشيق. العمدة. ط. 4، بيروت: دار الجيل، 1972.
- الكرباسي، محمد صادق. شريعة العيد. بيروت: بيت العلم للنابحين، 2009.
- الكُليّني، محمد بن يعقوب. الأصول من الكافي. تحقيق: علي أكبر الغفاري، طهران: دار الكتب الإسلامية، 1409هـ/1988م.
- المجلسي، محمد باقر. بحار الأنوار. بيروت: دار إحياء التّراث العربيّ، 1983.
- مُحدّثي، جواد. موسوعة عاشوراء. ترجمه من الفارسيّة إلى العربيّة خليل زامل العصامي، بيروت: دار الرّسول الأكرم، ودار المحجّة البيضاء، 1997.
- المرتضى، الشّريف عليّ بن الحسين. الشّافي في الإمامة. طهران: مؤسسة الصادق، 1987.

- النَّعْمَة، مقبول علي بشير. المراثي الشَّعْرِيَّة في صدر الإسلام. بيروت: دار صادر، 1997.
- الهاشم، جوزيف. علويّات، قصائد من وحي الإمام عليّ. بيروت: دار ومكتبة المعارف، 1999.
- هيفا، راجي أنور. الإمام عليّ في الفكر المسيحيّ المعاصر. بيروت: دار العلوم، 2005.
- وند، تورج زيني. الإمام عليّ في الشَّعر المسيحيّ المعاصر (دراسة نموذجيّة: العلويّات نموذجاً). مجلّة اللّغة العربيّة وآدابها، السّنة التاسعة، العدد 3، 1434-1435هـ، 127-149.
- Bar-Asher, Meir. *Scripture and Exegesis in early Imami Shiism*. (Leiden: Brill, 1999).
- Beinhauer-Köhler, Bärbel. *Fatima bint Muhammad: Metamorphosen einer frühislamischen Frauengestalt*, (Wiesbaden: Harrassowitz Verlag, 2002), 129-131.
- Massignon, Louis. Der gnostische Kultus der Fatima im schiitischen Islam, in: *Eranos Jahrbücher*, (1938), S. 162.
- McAuliff. Jane Dammen, Chosen of All Women: Mary and Fatimah in Qur'anic Exegesis *Islamochristiana* 7, (1981), 19-28.
- Pinault, David. Zaynab bint 'Ali and the Place of the Women of the Households of the first Imams in Shi'ite Devotional Literature, in *Women in the Medieval Islamic World*, edited by Gavin Hambly, New York: St. Martin's Press, 1998, 69-98.
- Sindawi, K., (2004). Al-Husain Ibn 'Ali and Yahya Ibn Zakariyya in the Shi'ite Sources: A Comparative Study. *Islamic Culture*.78(3), 37-54.
- Veccia Vaglieri, L. Ghadir Khumm , *Encyclopaedia of Islam*, new edition, II, p. 993-994.
- Sered, Susan. Rachel, Mary, and Fatima , *Cultural Anthropology* 6 (1991)• 131-146.

الهوامش

³ غدير ماء يقع بين مكة والمدينة (في منتصف الطريق بينهما تقريبا)، على بعد ثلاثة أميال من الجحفة (المسافة اليوم راغب) ويبعد عن مكة حوالي 157 كيلومترا تقريبا، أما الجحفة، فهي ميقات أهل الشام ومصر ومن مرّ عليها، والتي يُحرم منها الحجاج للحج أو العمرة. حدثت في هذا الغدير حادثة مهمة في السنة العاشرة للهجرة، حيث حجّ النبي حجّته الأخيرة التي تُعرف بحجة الوداع وكان معه جمع غفير من الناس، ولما قضى مناسكه عاد إلى المدينة وأثناء عودته وقف في غدير خمّ، في الثامن عشر من ذي الحجة، وألقى خطبته، وقال فيها: "من كنت مولاه فعليّ مولاه"، وتُعرف هذه المقولة لدى الشيعة بـ "حديث الغدير". وتقول الشيعة إنّ النبي قصد بهذه الجملة تعيين عليّ بن أبي طالب خليفة على المسلمين بعد وفاته، بأمر من ربّه بواسطة الملاك جبريل. وتعتمد الشيعة على حديث الغدير لإثبات أحقية عليّ بالخلافة. وبحسب الشيعة ذكرى حادثة غدير خمّ كلّ عام من الثامن عشر من ذي الحجة (الشهر 12 في التقويم الهجري). وأوّل من جعله عيداً رسمياً هو معزّ الدولة أحمد بن بُوَيْه عام 352/943 في بغداد، وبعده بعشرة أعوام احتفل بعيد الغدير في مصر زمن حكم الفاطميين بأمر من المعزّ بالله الفاطميّ سنة 362/972. ويعتبر هذا العيد من أهمّ أعياد الشيعة، ويُسمّى أيضا "عيد الله الأكبر" و"عيد آل محمّد (عليهم السلام)"، وأنّ جميع الأنبياء عيّدت هذا العيد وحفظت حرمة، وأنّ اسم هذا العيد في السماء "يوم العهد المعهود" واسمه في الأرض "يوم الميثاق المأخوذ والجمع المشهود". يتعبّد الشيعة بليلة عيد الغدير ويتزيّنون بالملابس القشبية، ويعملون الأعمال الصالحة ويصومون ويكثرون من الصلوة وينحرون الذبائح ويقومون بالزكاة ويقرأون دعاءً خاصاً بهذا اليوم، ويهتفون بعضهم البعض. ويُستحبّ زيارة مرقد الإمام عليّ بن أبي طالب في التجفّ بالزيارة المخصوصة، ويُستحبّ كذلك الغسل، ويستحبّ إجراء عقد التآخي بين الشيعة. للتفاصيل انظر: الأميني، محمّد هادي. عيد الغدير في عهد الفاطميين. طهران: مؤسّسة الآفاق، 1417/1997؛ عبد الحسين الأميني. الغدير في الكتاب والسنة والأدب. قم: مؤسّسة دائرة الفقه الإسلامي، 2004، الجزء الأول؛ الكُرّاسي، محمّد صادق. شريعة العيد. بيروت: بيت العلم للنابهين، 2009، 59-57؛

VECCIA VAGLIERI, L. "GHADIR KHUMM", ENCYCLOPAEDIA OF ISLAM, NEW EDITION, II, P. 993-994.

⁴ هي زينب بنت علي بن أبي طالب، أمّها فاطمة الزهراء. وبحسب بعض الروايات إنّ النبيّ ستّاها زينب. شاركت أخاها الحسين في واقعة الطفّ، وكان لها دور بارز في أحداثها. وقد لُقبت بأُمّ المصائب لما رأت من مصائب في حياتها. توفيت سنة 62 للهجرة، ودُفنت في مدينة دمشق. وهناك رأيان آخران: أحدهما أنّها توفيت في القاهرة، ودفنت هناك سنة 64 للهجرة. والآخر يرى أنّها دُفنت في مقبرة البقيع بالمدينة. للتفاصيل عنها انظر:

PINAULT, DAVID. "ZAYNAB BINT 'ALI AND THE PLACE OF THE WOMEN OF THE HOUSEHOLDS OF THE FIRST IMAMS IN SHI'ITE DEVOTIONAL LITERATURE," IN WOMEN IN THE MEDIEVAL ISLAMIC WORLD, EDITED BY GAVIN HAMBLY, 69-98. NEW YORK: ST. MARTIN'S PRESS, 1998.

⁵ المقصود علي بن الحسين وهو أحد أبناء الحسين بن علي وكان رضيعا يتلوى من العطش في معركة كربلاء، رماه جرّملة بن كاهل الأسديّ بسهم وقتل، وهناك خلاف في كتب المقاتل عن علي الأصغر وأيضا عن الطّفّل الرضيع في هل أنهما طفل واحد أم طفلان. ويُعتبّر علي الأصغر "بابا للحوائج" ومع أنّه كان طفلا رضيعا إلا أنّ مقامه عند الشيعة كبير. لمزيد من التفاصيل أنظر: مُحلّثي، جواد. موسوعة عاشوراء. ترجمه من الفارسيّة إلى العربيّة خليل زامل العصامي، بيروت: دار الرّسول الأكرم، ودار الحجّة البيضاء، 1997، 328.